في عيد ميلاد الحرب الـ 35، كنت أفضل، بل كان من البديهي أن نحيي المناسبة، باحتفال نتسابق خلاله على تعداد إنجازات السلم الذي يقترب عمره من الـ20 عاماً (سن الرشد).

لكن في لبنان، الأمر مغاير. في لبنان تنتفي البديهيات وتحضر الاستثناءات. فهاكم خيمة الأهالي تطفئ اليوم شمعاتها الخمس، تحنو على نزيلاتها الأمهات والزوجات اللواتي عقدن العهد أن لا يغادرنها قبل معرفة الحقيقة عن مصائر أحبتهن المختفين قسراً، ما دام "فيهن شلش ينبض" على حد قول "أوديتنا" الراحلة (اقترب موعد رحيلها من عامه الأول في 16 أيار المقبل).

ما بين الذكرى الـ 35 للحرب والذكرى الـ 5 للخيمة، ما تزال عائلات المخطوفين والمفقودين، من خلال تمسكها بحقها بالمعرفة، تشكل حلقة اعتراضية بوجه استمرار منطـق الحـرب المتمثل بالإصرار الرسمي على التعتيم على ما نتـج عنها من مـآس ومظالم وويـلات، و بالتستر على المرتكبين.

منذ إعلان حالة السلم، ما تزال هذه العائلات تدعو لإعلان يوم 13 نيسان من كل عام يوماً وطنياً للذاكرة، يوماً لتذكر الماضي ليس من أجل تأبيد هذا الماضي أو منع نسيانه بل من أجل مواجهته، التعلم من الأخطاء والخطايا التي ارتكبت خلاله وذلك تلافياً لتكرارها في المستقبل.

وفي غمرة النشاطات التي جرى ويجري الإعلان عنها والتحضير لإطلاقها بهذه المناسبة، لا أخفي أن ذلك ولد لدينا شعوراً بالارتياح وآخر بالاعتزاز.

الشعور بالارتياح يعود إلى رؤية هذه الحيوية العارمة التي تلف المجتمع بهيئاته المتعددة وأفراده، إلى هذه الهبَة، التي وان تعددت الوسائل وأشكال التعبير عنها، إلا أنها تنضوي، على ما نعتقد، تحت راية واحدة: مناهضة الحرب والتوق إلى السلم.

أما الشعور بالاعتزاز، هو أننا نحن- ضحايا تلك الحرب وضحايا هذا السلم في آن-هم أول من أدرك أهمية التوقف عند هذا التاريخ، فاستعرنا المثل الشعبي، حمَلناه تاء طويلة ممدودة وحملناه شعاراً نردده: 13 نيسان "تتذكر تـما تنعاد". من يومها بات هذا الشعار ملازماً يردد كلما ذكر تاريخ 13 نيسان، وكلما ذكر الشعار استتبعه ذكر المخطوفين والمفقودين وأهاليهم.

هكذا، وبهمة أهالي ضحايا الإخفاء القسري في لبنان، اكتسب تاريخ 13 نيسان معنى خاصاً.. له رمزيته.

جميل أن يزرع هؤلاء الأهالي، الأجمل أن يروا الزرع ينبت، يزهر.. والأمل الأكبر أن يشهدوا موسم القطاف..

ولا بد لي أن أنقل لكم فرح الأهالي وهم يشاهدون الناشطين يرفعون الشعار عينه الذي رفعوه وما زالوا، أو ينظمون النشاط عينه الذي سبق أن قاموا به في المناسبة عينها، أو في المكان عينه، سواء كان معرضاً يزدان بصور أحبتهم المختفين، أو عرضاً لفيلم يوثق أخبار هؤلاء الأحبة ويروي وجع الأمهات من طول انتظار عودة فلذات أكبادهن، أو تنظيم ندوة أو ورشة عمل...

واسمحوا لي هنا أن أتساءل، وبايجابية مطلقة:
- هل يكفي أن نتذكر الحرب، نرجم فظائعها، نترحَم على موتاها ونطالب بعودة من أخفتهم، فقط في هذا اليوم، وننساها على مدار 364 يوماً؟
- أفلا نخشى بذلك أن يفقد يوم 13 نيسان هويته ورمزيته؟
هل أن استمرار خيمة الاعتصام هذه أياماً وسنوات إضافية يعتبر علامة صحية بحقنا كأفراد ومجموعات نسعى إلى إقامة مجتمع السلم الحقيقي؟
- ترى لو انضممتم إلى اعتصامنا المفتوح، لو أتى كل منكم إلى الخيمة على الأقل مرة واحدة، في الأسبوع أو الشهر، هل تعتقدون أنه بذلك، وعبر زيادة الضغط وتكاتف المجتمع، سيجد المسؤولون أنفسهم في الموقع الذي يلزمهم بالاستجابة الجدية والفورية لمطلبنا البديهي والمحق؟
عندها ربما تنتفي الحاجة لاستمرار وجود الخيمة.. فتستريح.. ويمضي الأهالي إلى بيوتهم بعد أن يعلقوا نجمة تلمع على جبين مجتمعنا الذي نحتاجه جميعنا أن يكون حيوياً دائما وليس في المواسم..

إلى فخامة الرئيس أقول: لقد وعدتنا يا فخامة الرئيس في قسمك كما خلال لقائنا بك في القصر الجمهوري بأنك لن تألو جهداً في سبيل حل هذا الملف وبأسرع ما يمكن!! نحن ما زلنا ننتظر ترجمة ذلك إلى أفعال فخامة الرئيس، والرسائل التي تلقيتها منذ أيام قليلة من أمهات المفقودين بمناسبة عيد الأم تؤكد ذلك.

إلى دولة الرئيس أقول: لقد طال انتظارنا كي تحدد لنا دقائق نلتقي بك لشرح قضيتنا، مع عتبنا، نود إعلامك أن المذكرة بشأن إنشاء هيئة وطنية محايدة لتولي هذا الملف تنام في أدراج رئاسة مجلس الوزراء من أيام الحكومة السابقة، ليتك تطلع عليها دولة الرئيس، فترى هذه الهيئة النور على يديك فتترجم إيجابياً ما ورد في البيان الوزاري لحكومة الوحدة الوطنية التي ترأس.

وداد حلواني